## المبحث الثاني
## طرق إنتقال التراث الطبي والعلمي
## للحضارة الإسلامية من الأندلس إلى أوربا

لقد حمل الفتح العربي الإسلامي لإسبانيا حضارة جديدة،لم تألفها شبه الجزيرة الإبيبرية الاوربية من قبل، أخذت تنمو وتزدهر حضارياً، حتى بلغت الذروة في العصر الذهبي للدولة الإسلامية في الأنداس وعصمتها قرطبة، ويعتبر القرنان (السادس والسابع الهجريتين /الثاني والثالث عشر الميلادين) من أزهر عصور التألق الحضاري العربي الإسلامي في الأندلس.

أما طرق وألية إنتقال التراث الإسلامي إلى أوربا فتم ذلك من خلال:

### أولاً: المستُعرَبون :

(Mozarabe) وهم الإسبان الذين ظلوا يعتنقون دينهم النصراني حتى بعد الفتح العربي لإسبانيا، ولكنهم إندمجوا مع المسلمين وتعلموا اللغة العربية والآداب الإسلامية إلى جانب لغتهم المعروفة بالرومانسية (Romance)، ومن خلالهم تعلمها المسلمون في الأندلس، وهي لهجة عامية مشتقة من اللاتينية، ثم تطورت وتكونت منها اللغة الإسبانية، فإستعربوا لساناً وأسلوب حياة، وكان العرب يسمونهم بعجم الذمة ولأنهم تعربوا بتمكنهم من العربية جيداً كانوا لهم الحظ الأوفر في النقل[1].

وقد وصل بعض هولاءِ المستعربين الأندلسيين إلى مناصب مرموقة في الدولة الإسلامية في الأندلس بسبب روح التسامح الديني الذي أقّره الإسلام، ولنبوغهم في اللآداب والعلوم العربية، لذلك عُرِفَ هولاء الإسبان باسم المعاهدين أو المستعربين، أي تعّربوا لغة وثقافة ولكنهم بالمقابل ظلوا على دينهم النصراني[2]، وقد قاموا بنقل الحضارة الإسلامية إلى الممالك النصرانية، وذلك بحكم معرفتهم اللغة العربية واللاتينية الحديثة، لأنهم ضلوا يستعملون اللغة العربية في ظل سيادة النصرانية حتى القرن الرابع عشر الميلادي، وهو واضح من خلال الترجمات من العربية الى اللاتينية للمخطوطات العربية، والترجمات العربية في حواشيها [3]،

---

(1)سالم، السيد عبدلعزيز، تأريخ لمسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة الأموية، موسسة الشباب الجامعي، الإسكندرية، 1961م، ص 130؛عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية ص 418.؛ الجليلي، تأثير الطب العربي في الطب الأوربي، 189.

(2)العبادي، أحمد مختار، في تأريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ب/ت، ص ص111-115.؛ R.M.Pidal: Origines Del Espanol. Madrid 1949.P418-421 .

(3)بيرنيت، حركة الترجمة عن العربية في القرون الوسطى، ص 1362.

ويذكر كوندالث بالنثيا في هذا الصدد أن الأسقف " ريكيموندو" (Recismundo)، الذي يسمية العرب " ربيع بن زيد الأسقف" كان سفيرا لعبدالرحمن الناصر، لدى " هوتو- Otto" إمبراطور ألمانيا، ولاشك أن هذهِ السفارات كانت إحدى القنوات التي عبرت من خلالها الثقافة العربية الإسلامية إلى إسبانيا النصرانية.

قال المستشرق الإسباني غرسيا غومس:

((إكانت قرطبة بلد نصف عربي، يتحدث أهله العربية وعجمية الأندلس، ويختلط فيه رنين أجراس بأذان المؤمنين، ونجم عن تخالط الأجناس وتجاور الديانات مناخ إنساني سَمح جميل، وجو حضاري متألق رفيع))[1].

## ثانياً: اليهود:

(Judios) : لقد كان لليهود دور عظيم في نقل الحضارة إلى أوربا لما قموا من عمليلت النرجمة لها في العهود المختلفة [2]، والذين إزدادت هجراتهم من المغرب والأندلس خلال القرنين (السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشرالميلادي)، الذين لقوا بعض الشدة في عصر الموحدين مما أدى إلى هجرتهم من بلاد المغرب والأندلس إلى الممالك النصرانية،بموجب مرسوم صدر من من أول خلفاء الموحدين عبد المؤمن بن علي، وقد خيّرهم في هذا المرسوم بين إعتناق الإسلام فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أو الهجرة من البلاد، وكان الدافع وراء إصدار مثل هذا المرسوم هو خشيته من أن يقوم بعض أهل الذمة بنفس الدور الذي قام بهِ المستعربون، حين نقضوا عهود الآمان مع المسلمين وساعدوا ملوك النصارى على غزو البلاد الإسلامية في الأندلس خلال العصر المرابطي[3]، وذلك لما سلكه كثير من اليهود من مسلك ينافي ما لاقوهُ من التسامح وحسن المعاملة من قبل المسلمين في الأندلس وإشتراك بعضهم في التجسس على المسلمين لصالح المهاجمين من الدولة النصرانية، مما دفع الموحدين إلى التشدد في معاملتهم ومراقبة سلوكهم، مما أجبر هولاء على الخروج من الأندلس إلى المشرق أو فرنساً وغيرها من الدول الأوربية وفي هذا الصدد يقول القفطي:

((نادى عبدالمؤمن بن علي الكومي البربري المستولي على المغرب في البلاد التي ملكها إخراج اليهود والنصارى منها، وقدر لهم مدة الشرط لمن أسلم منهم بموضعهِ على أسباب إرتزاقهِ ما للمسلمين وعليهِ ما عليهم، ومن بقى على أهل ملتهِ فإما أن يخرج قبل الأجل في حكم السلطان مستهلك النفس والمال، ولما إستقر هذا الأمر خرج المخفون وبقى من ثقل ظهره وشح بأهله وماله، فأظهر الإسلام وأَسّرَ الكفر، إلى أن مكنته الفرصة من الرحلة))[4].

---

(1)غريسا، غومس، الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، 1966م، ص 35

(2)عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية، ص411.

3 - الغرناطي، الإحاطة ج1، ص ص 116-199.؛ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص ص 69-70.؛

Simonet,F.J: Histtoria de los Mozarbes,Madrid 1996.PP:746-751.

Cagigas,l: Los Mozarabes Il Toms,Madrid 1947, T.PP724-751.

(4)القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 209.

ونقلت هذهِ الرواية عن:

وقد لوحظ على اليهود:

**الأولى**: أن اليهود ترجموا كثيراً من الكتب العربية على لغتهم العبرية التي كان الغربيون أعرف بها، ثم نقلت أعمالهم إلى اللغة اللاتينية، نظراً لصلاتهم القوية بالعلماء النصارى في أوربا [1].

**الثانية**: لم يكن لليهودحضارة خاصة بهم، فهم حين نبغوا إنما نبغوا في ظل الإسلام وبدافع من حيويتهِ، وتراثهم العلمي إنما هو ثمرة من ثمرات الحضارة الإسلامية الأندلسية التي تغذوابها ونهلوا من معينها [2].

وقد كان لليهود دورهم في نقل التأثيرات الحضارية بين مسلمي الأندلس ونصارى شمال اسبانيا وجنوب فرنسا، وبهذا كانوا حلقة من حلقات النقل.

---

Cantor, F.N:Medieval History, TheLife and Death of Civilization Columbia University,First Printing 1963,Macmillan Co.New York,P435.

(1)واط، مونتكمري، فضل الإسلام على على الحضارة العربية، ص 87.

(2)عبد البديع، لطفي، الإسلام في إسبانيا، ص34.

**ثالثاً**: المُدَجَنون: (Mudjares) :

وهم المسلمون الذين آثروا البقاء في بلادهم بعد استولى عليها النصارى، أي تحت حكم الإسبان وعرفوا بالموريسكيون (Moriscos) ، لعبوا دوراً كبيراً في نقل الحضارة الإسلامية إلى الممالك النصرانية، وصاروا أشبه بجسر عبرت عليه الحضارة الإسلامية من الجنوب إلى النصارى في الشمال[1].

وقد ظهرت تأثيرات الحضارة الإسلامية بحكم تفوقها العظيم في إسبانيا منذ (القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي)، وبلغت الذرزة في القرنين (السادس والسابع الهجري/الثاني والثالث عشرالميلادي)، فأقبل النصارى على النهل منها لأعجابهم بها وإنبهارهم حيالها [2]، وقد تعرض أولئك لأبشع أنواع الإضطهاد والتنكيل من قبل محاكم التفتيش(Inquitiones) السيئة السيط، والتي إرتكبت فضائح الإبادة بحق المسلمين في إسبانيا وخاصة الأطباء منهم الذين تمت محاكمتهم بتهمة الهرطقة (Heretics)، لأنّ شفاء المريض الذي لم يتمكن جلاوزة محاكم التفتيش تعليلها؛ يعني أنه شفيَ من قبل الشيطان، وأن الطبيب الموريسكي المعالج متحالف مع الشيطان، وقد حوت سجلات تلك المحاكم على أسماء اطباء بعضها عربية، أمثال:

(Gaspar Capdal, Martin Gaad,Roman Ramirez,Fransisco of Codoba, Jeromino Pachet, Jeromino Jover

والإسم الأخير أصل إسمه عربي جابر كما جاء بشهادة أحد شهود تحقيق ضده[3].

وإذا كانت هناك مدينة من مدن إسبانيا النصرانية نافست طليطلة في الأثر الثقافي الذي خلفه المدجنون فهي مدينة مرسية، وخاصة عندما تولى الفونسو العاشر الذي تولى العرش سنة (651هـ/ 1235م)الذي أذكى الحركة الثقافية، وجمع حوله طائفة من علماء المسلمين والنصارى واليهودلترجمة الكتب الطبية العربية وغيرها إلى الإسبانية أو ينقلوا عنها، وفي السنة الثالثة (سنة 1255م) أمر بإنشاء حلقة للدراسات العربية اللاتينية يقوم بها أساتذة في العلوم العربية الطبية ووفي الرياضيات وغيرها وأنشأ مدرسة مرسية وعهد فيها ألى العالم العربي محمد بن أبي بكر الرقوطي بتدريس مختلف العلوم للمسلمين واليهود والنصارى[4]

وكانت هناك قنوات أخرى كالتجار والحروب بين الطرفين وما ينتج عنه من الرهائن والزواج المختلط، والتحالفات العسكرية والسياسية، ولابد أبن تكون لهذهِ القنوات من دور فعال في نقل الكثير من المؤثرات الحضارية[5].

رابعاً: الأسرى:

(Coutivos)والأسرى من الطرفين المسلمين والنصاربلعبوا دوراً بارزاً في نقل الحضارة الإسلامية من الأندلس في جنوب إلى الممالك النصرانية في الشمال، والذين كثروا من خلال المعارك المتواصلة بين المسلمين والنصارى في شبه الجزيرة الإبيبرية، وكانوا من مختلف

---

(1)الجليلي، تأثير الطب العربي في الطب الأوربي، ص 189.

(2)O'callaghan,F.J:A History of Medieval Spain,Copyright 1975, Cornell Universty,Ithaca,New York,P.330.

(3)الجليلي، المرجع السابق، ص ص189-190 .

(4)عبد البديع، لطفي، الإسلام في إشسبانيا، ص 171.

(5)أبو عبية، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص 969.

الطبقات و والوظائف والمهن، وجرت العادة أن تجري عملية تبادل للأسرى بين الطرفين بالمال وغيره، مما أدى نقل الحضارة العربية الإسلامية من خلالهم إلى الممالك النصرانية، يقول رامون منندث بيدال(قال هوراسيو ببلاغة في رسالة إلى أغسطس: لم يفقد الرومان جفوتهم الغليظة الأولى إلا بعد أن فتحوا بلاد الإغريق التي غزت بدورها قاهريها الغلاظ وفرضت عليهم الفنون، وهذا نفس ما حدث في الغرب الأوربي، حيث أدركت البقية الباقية من الإمبراطورية الرومانية "التي ظلت لعدة قرون في معزل عن تلك الحضارة الإغريقية التي إنتشلتها من الجفوة الأولى" مبلغ ما كانت ترزخ تحتهُ من تأخر وفقر، ولما هزم النصارى القشتاليون والنورمان في إسبانيا وصقلية المسلمون إستسلموا بدورهم حيال التفوق الثقافي للمغلوبين ما أعجبهم من علوم وفنون في الأراضي التي لم يكن قد بعد العهد بغزوها[1].

وقد قامت في عدة مدن إسبانية حركة لترجمة المؤلفات الإسلامي، كانت مدينة طليطلة أهم تلك المراكز وأنشطها، ويمكن يمكن تقسيم حركة الترجمةفي طليطلة إلى مرحلتين، ففي أولها كانت الترجمة تتم من اللغة العربية إلى اللاتينية، بينما كانت الترجمة في المرحلة الثانية تتم من العربيية إلى الإسبانية مباشرة[2].

---

(1)بيدال، رامون منندث، إسبانيا حلقة إتصال بين المسيحية والإسلام، تعريب أحمد لطفي السيد، مجلة مدريد للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد الأول، 1953م، ص ص3-4.

(2)بيدال، رامون منندث، إسبانيا وإدخال العلوم العربية إلى الغرب، مجلة مدريد للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد الثالث، 1955م، ص ص 187-188.